مدينة وارجلان في المصادر الجغرافية الإسلامية خلال العصر الوسيط دراسة نقدية

د/ طارق بن زاوي
أستاذ محاضر أ
جامعة محمد بوضياف المسيلة

لم تهتم الدراسات و الكتب القديمة كثيرا بتاريخ الصحراء و مدنها و ذلك لأسباب كثيرة ، لعل أهمها أن هذه المدن قد نأت بنفسها عن الصراعات و الحروب التي كانت لا تكاد تتوقف في شمال منطقة المغرب الإسلامي ، بل كانت ملاذا آمنا للفارين من القتل و البطش في مناطق الشمال في كثير من المراحل التاريخية ، و هذا لا يعني أنّه لا توجد أخبار أو إشارات إطلاقا تمدنا به هذه المصادر المختلفة ، و لعل في مقدمة هذه المصادر نجد المصادر الجغرافية التي قدمت معلومات هامة و قيّمة تفيد الباحث في تتبع أخبار كثير من مدن الصحراء خاصة و أنّها كانت منطقة عبور رئيسية لقوافل التجارة في اتجاه مناطق بلاد السودان المختلفة ، و تعد مدينة وارجلان أو ورقلة حاليا من أهم المدن الصحراوية التي ورد ذكرها عند الجغرافيين و الرحالة المسلمين خلال العصر الوسيط ، و سنحاول تتبع ما كتبه هؤلاء عن هذه المدينة بحس نقدي قد يضفي أبعادا جديدة في كشف جوانب مهمة في جغرافية و تاريخ و حضارة هذه المدينة الصحراوية العريقة.

1 – الموقع و السكان :

تقع مدينة ورقلة جنوب القطر الجزائري حاليا بالمنخفض الشرقي الكبير للصحراء الذي اكتسب أهمية من كونه يضم أهم الواحات و المراكز العمرانية التي يتجمع فيها أكثر سكان الصحراء الجزائرية فضلا عن الثروات البترولية الضخمة التي يزخر بها باطنه ، و هذا ما يخالف طبيعة سطحه المتميزة

بندرة المجاري المائية و قلة الغطاء النباتي الذي تسبب فيه المناخ الجاف الذي تعيشه المنطقة[1] ، و تبعد عن العاصمة الجزائر بأكثر بقليل من 800 كلم ، و تؤكد الدراسات على أنّ منطقة ورقلة مكان معمور منذ القدم ، فقد وُجد فيها الكثير من الأدوات الحجرية لعصور ما قبل التاريخ جمعها الأب هوغنو (P.Hugunot) من سنة 1892م إلى سنة 1909م ، و من هذه الأدوات الحجرية ما هو موجود الآن في متحف الباردو في الجزائر العاصمة و منها ما نقل إلى دول أحرى كفرنسا[2].

و استنادا إلى المادة الخبرية المصدرية التي وصلتنا عن ورقلة في فترات ما قبل التاريخ و فجر التاريخ و التاريخ القديم ، و على الخصوص في الفترة الممتدة ما بين الألف الثانية قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي لم يذكر اسم هذه المدينة بأية صفة من الصفات ، و كل ما ذكرته عنها مجرّد إشارات و تلميحـــات إلى الشعـوب التي سكنت جنـوب غـرب فـزان و الـزاب من الغرمنتيـين و الجيتوليين و الأثيوبيين و البربر الذين كانوا يتجولون في هذه الجهة ، و عن المبادلات التجارية التي كانت بين هؤلاء و الشمال الخاضع للسيطرة الأجنبية دون أن يتم ربطهم برقعة جغرافية لها اسم معين[3] .

و يتفق الدارسون على أنّ السكان الأصليين لمدينة ورقلة هم البربر ، و ذهب عدد من المؤرخين إلى أنهم أقبلوا من الجنوب من إفريقيا المدارية عبر الصحراء الكبرى و من حوض النيل بصفة خاصة ، و هذا ما يفسر لون بشرتهم الداكن ، و مع ذلك فإنّ قبائل عربية سكنت المنطقة حيث دخل العرب المنطقة مع الهجرات الهلالية حوالي القرن الخامس الهجري ، و من الملاحظ أنّهم حافظوا على خصائصهم و سماتهم الذاتية ، فقد عرفوا بحياة البداوة و الترحال و حافظوا على ذلك إلى وقت غير بعيد[4].

1- مدينة وارجلان في المصادر الجغرافية :

و قد ذكر مدينة وارجلان كثير من الجغرافيين و الرحالة في مؤلفاتهم ، و في هذه الأسطر سأذكر بعضا من أقوال هؤلاء الأعلام كما وردت ، و قبل ذلك لا بأس أن نبدأ بذكر ما قاله المؤرخ

---

[1] جلول مكي، **تطور ناحية ورقلة ما بين 1962-1975م**، مجلة الأصالة، عدد 41، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر،1977م، ص147 .

[2] د/فضيلة دقناني، **وركلة في كتابات المؤرخين ملاحظات حول التسمية و الجغرافية** (مطبوع ضمن كتاب المعجم الطبونيمي الرقمي في الجزائر)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2021م، ص454 .

[3] أ.أحمد ذكار، **مدينة ورقلة التسمية و التأسيس دراسة تاريخية**، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية، عدد 17، ديسمبر 2014م، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص160 .

[4] د/فضيلة دقناني، مرجع سابق، ص454 .

عبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/1406م) في تاريخه عن هذه المدينة و من أسسها حيث ذكر ما يلي : " بنو واركلا إحدى بطون زناتة من ولد فرني بن جانا و قد مرّ ذكرهم و أنّ إخوتهم الديرث و مرنجيصة و نمالة المعروفين لهذا العهد ، منهم بنو وراكلا و كانت فئتهم قليلة ، و كانت مواطنهم قبلة الزاب ، و اختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب ، بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطة ، ثمّ استبحر عمرانها فأتلفت و صارت مصرا واحدا ، و إليهم كان هـرب أبي يزيـد النكـاري عند فـراره من الإعتقـال سنة 325هـ/936م ، و استبحر عمران هذا المصر و اعتصم به بنو واركلا هؤلاء و الكثير من ظواعن زناتة عندما غلب الهلاليون إياهم على الضواحي ، و اختصاص الأثبج بضواحي القلعة و الزاب و ما إليها "[1] .

و من أهم من ذكر واجلان من الجغرافيين البكري (ت 487هـ/1093م) الذي قال : " فإن أردت من تادمكة إلى القيروان فإنّك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان ، و هي سبعة حصون للبربر أكبرها يسمى أغرم أن يكامن أي حصن العهود ، و منها إلى مدينة قسطيلية أربعة عشر يوما ، و بين وارجلان و قلعة أبي طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما "[2] .

و وصف الشريف الإدريسي (ت 560هـ/1166م) وارقلان كالآتي :" وارقلان مدينة فيها قبائل مياسيير و تجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى غانة و بلاد ونقارة ، فيخرجون منها التبر و يضربونه في بلادهم باسم بلدهم ، و هم وهبية إباضية نكار خوارج في دين الإسلام "[3] .

و قال الزهري (ت أواسط القرن 6هـ/ القرن 12م) في كتابه الجغرافية : " و آخر عمل القيروان في الجنوب مدينة وارقلان "[4] ، و ذكر في موقع آخر أنّ وارقلان يخرج منها جلب الصحراء من العبيد و الخدم[5] .

و جاء عند صاحب الإستبصار (جغرافي مجهول عاش في القرن 6هـ/ 12 م) ما نصه : " وارجلان بلد مما يلي إفريقية ، و هو بلد خصيب كثير النخل و البساتين ، و فيه سبع مدن مسورة

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن** الأكبر، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج7، ص69 .

[2] أبو عبيد محمد بن عبد العزيز بن محمد البكري، **المسالك و الممالك**، تحقيق: د/ جمال طه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م، ج2، ص371 .

[3] أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1، ص296 .

[4] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الجينية، القاهرة، ص112 .

[5] نفسه، ص119 .

حصينة تقرب بعضها من بعض ، أكبرها تسمى أغرم إن يكامن معناه بلاد الشهود ، و فيه حصن العهود ، و هي بلاد كثيرة الزرع و الضرع و البساتين كثيرة المياه ، و لها أعجوبة ليست في موضع من الأرض يحفر الرجل بئرا يقوِم حفره بمئة دينار و أزيد فإنّ أرضهم صلبة و الماء بعيد يدرك على أزيد من ستين قامة ، فيجد على الماء طبقا من حجر صلد فيستبشر عند وجوده و يطعم أولياءه فرحا ، و يدخل إليه من يعرف كيف ينقره مربوطا في حبال وثيقة فينقره فيفور الماء ، فإن أبطأ الرجال في رفعه حتى لا يدركه الماء هلك لحينه ، و يبقى الماء يفور على مرّ الدهور ، و هكذا هي جميع آبارهم ، و هم يسقون جناتهم و زروعهم و نخلهم ، و تضرب ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية "[1] .

و أمّا صاحب المعجم ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) قال : " ورجلان بفتح أوله و سكون ثانيه و فتح الجيم و آخره النون ، كورة بين إفريقية و بلاد الجريد ، ضاربة في البرّ كثيرة الخيرات و النخيل ، يسكنها قوم من البربر و مجانة ، و اسم مدينة هذه الكورة فجوهة "[2] .

و جاء في كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ت 685هـ/1286م) : " واركلان حيث الطول عشرون درجة و نصف و العرض أربعة و عشرون درجة و عشر دقائق ، و هي بلاد نخل و عبيد و منها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط و إفريقية ، و السفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير و في شرقيها بلاد ريغ "[3] .

و كتب محمد بن المنعم الحميري (ت 900هـ/1494م) في الروض المعطار ما يلي : " واركلان في طرف الصحراء مما يلي إفريقية ، و هو بلد خصيب كثير النخل و البساتين ، و فيه سبع مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من بعض ، و هي كثيرة الزرع و الضرع و البساتين و المياه ، و العجيب أنّ الرجل منهم يحفر فيها بئرا بأزيد من مائة دينار فإنّ أرضهم صلبة و الماء بعيد يدرك على أزيد من مائة قامة ، فيجد على الماء طبقا من حجر صلد فيستبشر عند وجوده و يطعم أصحابه فرحا به ، و ينزل إليه من يعرف كيف ينقره مربوطا في حبال وثيقة و ينقره فيفور الماء ، فإن أبطأ الرجال في رفعه حتى يدركه الماء هلك لحينه و يبقى الماء على مرّ الدهور يفور ، و هكذا جميع آبارهم ، و بها يسقون جنّاتهم و زرعهم و نخلهم ، و تضرب ببلد واركلان دنانير على نوع المرابطية و هي مشهورة ، و بين

---

[1] مجهول، **الإستبصار في عجائب الأمصار**، نشر و تعليق: د/ سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص224 .

[2] شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م، ج5، ص371 .

[3] أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق : اسماعيل العربي، المكتب العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1980م، ص126 .

واركلان و الجريد أربع و عشرون يوما ، و أهل واركلان بربر و فيهم جمال و نساؤهم موصوفات بالحسن"[1] .

و لم يفت الحسن الوزان (ت 957هـ/1554م) ذكر مدينة وَرْكَلَة فقال : " وَرْكَلَة مدينة أزلية بناها النوميديون ، لها سور من الآجر البني و دور جميلة و حولها نخل كثير ، و يوجد في ضواحيها عدة قصور و عدد لا يحصى من القرى ، الصنّاع فيها كثيرون و سكانها أغنياء جدا لأنّهم في اتصال مع مملكة أكدز ، منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلد لاسيما من قسنطينة و تونس ، يحملون إلى وركلة منتجات بـلاد البربر و يستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان ، القمح و اللحم نادران جدا ، و تؤكل الجمال و النعام ، و أغلب الناس سود لا بسبب المناخ ، و لكن لأنّ لهم جوارٍ سودوات يتسرّون بهن فيأتين بأولاد سود ، و أهل وركلة ظرفاء يستقبلون الغريب استقبالا حسنا لأنّهم لا يأتيهم غير مـا يأتيهم بهم هـؤلاء كالقمح و اللحم و الشحم و الأقمشة و الأسلحة و السكاكين و كل ما يحتاجون إليه على الإجمال ، و لوركلة أمير يشرّفونه كالملك ، يعيل نحو ألف فارس من حرسه ، و يجبى إليه من إمارته مائة و خمسون ألف مثقال ، و يؤدي إليه جيرانه الأعراب خراجا مرتفعا "[2] .

و لا بأس أن نذكر أن الرحالة العياشي و إن كان من المتأخرين (ت 1090هـ/1679م) قد ذكر المدينة في رحلته المشهورة و التي عرفت رواجا كبيرا و إقبالا ملحوظا حتى أصبحت مثالا يقتدى به في كتابة الرحلات و نموذجا يقلّد ، و لم يفت المستشرقين نقلها كاملة إلى لغات مختلفة أو نقل بعضها[3] ، و هذا بعض ما ذكره العياشي عند دخوله واركلا : " و تراءى لنا نخل كأنّه سحابة وطقاء أو ناقة عجفاء ينقطع السراب دونه ، فدخلنا واركلا قبل غروب الشمس و نزلنا باب المدينة المسمى باب السلطان....."[4] .

---

[1] محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م،ص600 .

[2] الحسن بن محمد بن الحسن الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م، ص ص136-137 .

[3] د/مولاي بلحميسي، **مدينة ورقلة في رحلة العياشي**، مجلة الأصالة، عدد41، منشورات وازارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، 1977م، ص71 .

[4] عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، تحقيق و تقديم: د/ سعد الفاضلي و د/سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع، أبوظبي، الطبعة الأولى، 2006م، ص114 .

2- نقد المصادر :

اختلفت المصادر الجغرافية في اسم المدينة و ورد بألفاظ متشابهة إلى حد كبير ، و أهمّ هذه التسميات هي : وارقلان ، وارجلان ، وَرجَلان ، وارَكلان ، وركلة ، واركلا ، و يترجح أنّ الأدق لا سيما في العصر الوسيط هو اسم وارجلان ، و قد رجّحه الباحث المعاصر عمر سليمان بوعصبانة في رسالة جامعية مستدلا على ذلك باستعماله في المصادر القديمة كأبي زكريا في كتابه السيرة و أخبار الأئمة و الدرجيني في طبقاته و الوسياني في سيره ، و هم أهـل المنطقة و أدرى بالاسم و مدلولـه[1] ، و يزيد هذا الترجيح تأكيدا أنّه ابتداء من القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي ذُكرت وارجلان كونها مركزا من مراكز الإباضية و الحدود الجنوبية للدولة الرستمية ، و الجدير بالملاحظة أنّ المصادر الجغرافية لم تخض في مدلولات التسمية[2] .

و أمّا عن معنى كلمة واجلان فقد وردت بشأنه العديد من الآراء ، غير أنّ المرجّح منها أنّها لفظة مركبة من كلمتين ، "وار" و تعني أولاد و "قلن" أو "إقلن" و تعني الأَسوَد ، فسُميت على أساس لون البشرة الأسود[3] .

و لم يورد الجغرافيون تاريخا لمدينة وارجلان ، و اكتفى الحسن الوزان و هو من المتأخرين بذكر أنّها مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا[4] ، و لم يؤيد قوله هذا بأي دليل و لم ينسبه إلى أي مصدر ، و نسب ابن خلدون في تاريخه مدينة وارجلان إلى بني واركلا إحدى بطون قبيلة زناتة البربرية على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة منها ميمنة المغرب ، بنوها قصورا متقابلة الخطة ، ثمّ استبحر عمرانها فأتلفت و صارت مصرا واحدا[5] ، و لم يحدد ابن خلدون تاريخا لهذا الحدث ، و لم يستطع كثير من المؤرخين المحدثين الوصول إلى تاريخ واضح لتأسيس المدينة ، و الذي يبدو أنّ وارجلان لم تُعرف كمدينة جذبت أنظار المؤرخين و الجغرافيين إليها إلا خلال مرحلة التاريخ الإسلامي للمنطقة خاصة مع سقوط الدولة الرستمية ، و يؤيد هذا أنّ الأثريين يرون أنّ قصر ورقلة هو الخلية الأولى في تأسيس المدينة يعود للفترة الإسلامية ، و دليلهم ما يتوفر عليه من مميزات الحضارة الإسلامية المتمثلة

---

[1] عمر سليمان بوعصبانة، **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان (296-626هـ/909-1229م**، بحث لنيل درجة الماجستير، إشراف: د/محمد ناصر، المعهد العالي لأصول الدين، الجزائر، 1991-1992م، ص10 .

[2] أ.أحمد ذكار، مرجع سابق، ص163 .

[3] محمد عربة و أحلام بوسالم، **دور مدينة وارجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 4، العدد 1، جانفي 2021م، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص83 .

[4] الحسن الوزان، مصدر سابق، ص136 .

[5] ابن خلدون، العبر، ج7، ص69 .

في كثرة المساجد و الزوايا و النمط العمراني للمنازل الذي يحمل خصائص العمارة الإسلامية في جميع أوجهها من أقواس و قباب و أقبية و زخرفة جصية إسلامية[1] .

و يضاف لهذا أنّ منطقة ورقلة لم يكن لها ذكر في المصادر التاريخية التي أرخت للفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي و كذلك للدويلات الإسلامية التي قامت على أرضه و توسعاتها و للإمارات التي قامت هنا و هناك في الجهة ، فإنّها لم تذكرها في مراحل الفتوحات رغم أنّ الفاتح الكبير عقبة بن نافع قد اختار طريق الصحراء و عبر الواحات خلال ولايته الثانية (62-64هـ) ، لكن لم تصلنا أي معلومة على أنّه مرّ عليها أو على القرى المحيطة بها ، و بالتالي غاب ذكر اسمها في المصادر التي تضمنت أخبار النصف الثاني من القرن الأول للهجرة و النصف الثاني من القرن السابع للميلاد[2].

و مع ظهور الدولة الرستمية ببلاد المغرب الأوسط في القرن الثاني الهجري و بروزها كقوة إقليمية في المنطقة حيث استطاعت السيطرة على منافذ مهمة في طرق التجارة المؤدية إلى بلاد السودان ، و مع امتلاك الرستميين عددا من القواعد الصحراوية و أولها كانت وارجلان التي ترتبط ببلاد السودان جنوب الصحراء ارتباطا وثيقا و السفر منها إلى هذه البلاد كان كثيرا[3] ، في هذه المرحلة التاريخية تبدأ منطقة ورقلة في الظهور على مسرح الأحداث التاريخية ، و بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ/908م على يد الداعية أبي عبد الله الشيعي أصبحت المنطقة ملجأ للمهاجرين و مأمنا لبعض الجماعات و الأفراد و ذلك بحكم موقعها الجغرافي البعيد عن المناطق الساحلية و التلية ، فقد هاجر إليها الإباضية بعد سقوط دولتهم أواخر القرن الثالث الهجري ، و كان لموقعها الرابط لطرق التجارة الصحراوية بين الشرق و الجنوب الشرقي الدور الهام في حياتها الإقتصادية و الإجتماعية و العلمية[4] .

و لم تكن المعلومات التي أوردها الجغرافيون عن وارجلان غزيرة خاصة من الناحية الحضارية ، فالبكري الجغرافي الأندلسي ذكرها باختصار شديد مكتفيا بالإشارة إلى موقعها ، مبينا المسافة بينها

---

[1] أ.أحمد ذكار، مرجع سابق، ص165 .

[2] أ.أحمد ذكار، مرجع سابق، ص 160 .

[3] محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي و الأندلس**، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، 1987م، ص210 .

[4] عبد الحميد زوز، **الوضع في مدينة ورقلة قبل الإحتلال الفرنسي**، مجلة الأصالة، عدد 41، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، 1977م، ص96 .

و بين بعض المدن كقسطيلية و قلعة أبي طويل مثلا ، و أنّها تتكون من سبعة حصون ، و قد اعتمد البكري الذي لم يرتحل عند حديثه عن بلاد المغرب على كتاب محمد بن يوسف الوراق (ت 362هـ/973م) صاحب كتاب المسالك و الممالك المفقود ، ممّا يدّل على أنّ المعلومات التي جاءت في هذا الكتاب المفقود قليلة و أنّ البكري إمّا نقل ما وجده كاملا أو قد اختصره ، و في الحالين فإنّ المتقدمين لم يخوضوا كثيرا في التعريف بهذه المدينة ، و يظهر أنّ وارجلان إلى غاية عصر البكري (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) لم تحض باهتمام الجغرافيين بعد .

و أمّا الشريف الإدريسي (ت 560هـ/1166م) و هو من أشهر الجغرافيين المسلمين في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، فما أورده عن المدينة شحيح جدا ، و اهتم بالجانب التجاري الذي بيّن أنّه غالب على سكـان المدينة ، و وصفهم بأنّهم قبائل مياسير و تجـار أغنيـاء ، و أنّ أغلب تجارتهم مع بلاد السودان جنوب الصحراء خاصة ، و ذكر أنّ التبر الذي يضربونه في بلدهم أهم سلع يجلبونها من السودان ، و لم يفت الإدريسي أن يُبيّن مذهب أهلها و أنّهم وهبية إباضية نكار خوارج ، و لعل هذا سبب واضح يفسر عدم اهتمام كثير من الجغرافيين أصحاب المذهب السني بهذه المنطقة و أهلها ، و معروف الإختلاف الظاهر بين المذهبين السني و الإباضي ، فلكل منهما أصوله و مظانه و علماؤه و مؤرخوه .

و اكتفى الزهري (توفي أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) بذكر أنّ وارجلان آخر عمل القيروان جنوبا ، و أنّها تختص بالتجارة و خاصة تجارة العبيد و الخدم الذين يتم جلبهم من بلاد السودان ، و لم يضف أي شيء آخر ذي أهمية .

و يعدّ صاحب كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار الجغرافي المراكشي المجهول (القرن 6هـ/12م) من الجغرافيين القلائل الذين أطالوا نوعا ما مقارنة بغيره في حديثه عن وارجلان ، فقد بيّن موقعها و خيراتها و حصونها السبع ، و يظهر أنّه أخذ كثيرا عمن قبله خاصة البكري و الإدريسي ، و كان صاحب الإستبصار وفيا لعنوان كتابه فقد التزمه في ذكر عجيبة رواها عما يحدث في مدينة وارجلان عند حفر آبـارها و طريقة أهلهـا في ذلك ، و أضاف أيضا ذكـر العملة المضروبة في المدينة و هي على نوع المرابطية و كان لها انتشار واسع حسبه ، و لا يُعلم إذا كان أصل مسمّاها نسبة إلى المرابطين ، و هو ما قد لا يستبعد بحكم سيطرتهم على المعبر الغربي لتجارة الذهب[1] .

---

[1] عمار غرايسية، **من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية وارجلان نموذجا**، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، جامعة غرداية، عدد15، 2011م، ص417 .

و اكتفى ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) بتحديد كيفية رسم اسم المدينة ، و عرّفها بأنّها كورة من كور إفريقية و بلاد الجريد ، و أنّ سكانها بربر و لم يصفهم بشيء ، و لم يشر إلى طبيعة أعمالهم أو تجارتهم أو إلى أي شيء آخر مميّز لهذه المنطقة .

و ممّا يميّز الجغرافي ابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) عن غيره أنّه حدّد موقعها الفلكي ، مبينا أنّها بلاد نخل و عبيد ، و هي إشارة واضحة إلى أهمّ مميزاتها الإقتصادية ، منها الفلاحية و ما يغلب على أرضها من واحات النخيل و التجارية و ما تختص به من تجارة العبيد ، مضيفا أنّ المدينة طريق رئيسي تسلكه القوافل العابرة للصحراء .

و لم يأت الجغرافي الحميري بجديد في كتابه عند ذكره وارجلان ، و نقل حرفيا تقريبا ما ذكره صاحب الإستبصار من معلومات دون أن يزيد شيئا ذا قيمة تاريخية أو إقتصادية .

و يبدو أنّ المدينة حافظت على صفتها التجارية إلى نهاية العصر الوسيط ، فقد ذكر الحسن الوزان (ت 957هـ/1554م) أنّ الصنّاع فيها كثيرون و سكانها أغنياء ، و أنّ حركة التجارة فيها نشيطة لا سيما بين تجار الشمال الذين يأتون بسلعهم إليها ثمّ يحملون منها سلع بلاد السودان ، و أوضح الوزان أنّ اللون الأسود الغالب على بشرة أهلها سببه تسرّيهم بالجواري السودوات ، و قال عن أهلها أنّهم غاية الكرم مع الغرباء ، و تحدّث أيضا عن الكثير من السلع التي تدخل المدينة ، و هي معلومات في غاية الأهمية إقتصاديا .

و يكاد يتفق أغلب الجغرافيين الذين عاشوا خلال العصر الوسيط على عدم إيراد أي اسم لعالم من علماء المدينة ، و لم ينسبوا إليها قائدا أو ملكا أو صاحب سلطة أسهم في تاريخ المنطقة ، و الراجح أنّ سبب ذلك يعود إلى الخلاف المذهبي بين الجغرافيين الذين ينتمون إلى مذهب أهل السنة و المذهب الإباضي الغالب على سكان مدينة وارجلان خلال العصر الوسيط ، و قد يلاحظ القارئ لمعظم الكتابات التاريخية بعض التحامل على المذهب الإباضي من طرف مؤرخي و جغرافيي العصر الوسيط ، و يبدر أنّ الأمر قد استمر إلى غاية قرون متأخرة فالرحالة العياشي (ت 1090هـ/1679م) كغيره من علماء السنة الذين يعتبرون الإباضية فرقة من الخوارج كان قد دخل وارجلان و ذكر صفتها و أحوالها و بعض أخبارها ، نقل في رحلته أنّ أمير المدينة كان متسامحا مع أتباع المذهب الإباضي و الذين لم يتردد في لمزهم بالطائفة الملعونة ، و أنّه ـ أي الأمير ـ لا ينكر عليهم مذهبهم مع أنّه ليس على معتقدهم معتبرا ذلك من رقة الدين و خيانة الأمانة[1] .

[1] العياشي، مصدر سابق، ص117 .

و في الأخير يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية :

- إنّ منطقة وارجلان لم تكن معروفة كمنطقة مهمة قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب .
- اكتسبت المنطقة أهمية خاصة مع وصول المهاجرين الرستميين إليها بعد سقوط دولتهم نهاية القرن الثالث الهجري/بداية القرن العاشر الميلادي .
- لم يهتم الجغرافيون خلال العصر الوسيط كثيرا بمناطق الصحراء عامة و وارجلان خاصة ، و اكتفوا بذكر معلومات قليلة عنها .
- غلب على مدينة وارجلان الطابع التجاري خلال العصر الوسيط ، و أصبحت مدينة رئيسية في طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء باتجاه بلاد السودان .
- لم يتطرق الجغرافيون لأعلام المدينة إطلاقا .